

الفصل الخامس

الحرف

مدخل

أولاً - نظام الحرف

ثانياً - عوامل قيام الحرف

ثالثاً - أهم الحرف:

١- الحرف التي تعتمد على المنتجات الزراعية والنباتات :

الحرف الغذائية - النسيج - الحرف الخشبية.

٢- الفخار

٣ - الحرف التعدينية

- النقود

- الأسلحة

- الأواني المنزلية

٤ - أدوات الزينة.

٥ - الزجاج.

obeikandi.com

مدخل:

تعد الحرف ركيزة أساسية من ركائز الحياة الاقتصادية لأية دولة من الدول، وارتبط وجود الحرف بمجموعة كبيرة من العوامل التي ساعدت على قيامها، وتنوعها، ومن هنا يتناول هذا الفصل دراسة الحرف التي ازدهرت في الدولة الإشكانية، متطرقاً إلى نظامها وعوامل قيامها، وأنواعها، بالإضافة إلى دور الدولة في دعمها وتحسينها.

أولاً- نظام الحرف

إزاء قلة المعلومات الخاصة بالحرف في عصر الدولة الإشكانية، فليس بالإمكان توضيح النظم التي قامت عليها الحرف، إلا من خلال العموميات التي نقلتها بعض المصادر، وما وجدته البعثات التنقيبية الأثرية التي أجريت في بعض المناطق الخاضعة لهم، والتي بينت قيام العديد من الحرف وازدهارها، كما بينت تنوع هذه الحرف ومدى تطورها.

والسؤال هل كانت الحرف داخل الدولة الإشكانية حرفاً حرة، أم مارست الدولة عليها نوعاً من الرقابة؟ وهل اقتصرت الحرف على حرف معينة؟ وهل وجدت حرف جديدة؟ أم اكتفت الحرف بالتوسع وزيادة الإنتاج؟ ثم ما الحرف القائمة محلياً؟ وما الحرف التي اعتمدت في وجودها على استيراد المواد الأولية من الخارج؟ وهل وجد نظام مالي يحكم هذه الحرف؟ وما الضرائب التي فرضتها الدولة عليها؟

في الحقيقة يمكن تقسيم الحرف في العصر الفرثي إلى قسمين: الأول؛ ما يمكن تسميته بالحرف الثقيلة كحرفة التعدين. والثاني؛ الحرف الخفيفة التي تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية، ويندرج في بنودها الحرف الغذائية والنسيجية وغيرها.

وكنتيجة حتمية لسعة المملكة، وتعدد مراكزها، بالتالي، حاجة سكان هذه المراكز والمناطق المحيطة بها إلى بعض المنتجات الحرفية الخفيفة، واستبعاد

استيراد هذه المنتجات، ولو كان استيراداً داخلياً (بين مراكز المملكة) لصعوبة هذه العملية نتيجة ترامي هذه المراكز والأصقاع، فقد كان من الصعب على الدولة أن تمارس سيطرةً معينةً على الحرف، باستثناء بعض الحرف التي كانت تختص بها منطقة معينة دون غيرها مثل حرفة الأواني الزجاجية، حيث أوجد القطاع الملكي ورشات كبيرة للإنتاج، في فارس وبابل¹.

كل ذلك يدفع للاعتقاد أن الدولة لم تشجع بعض الحرف وتحمي بعضها من منافسة البضائع المستوردة فقط، بل سمحت لمعظم الحرف الخفيفة أن تكون حرة في معظم مراكز المملكة، ولكن تحت رقابتها ضماناً لحقها في تحصيل الضرائب الواجب أدائها على أرباب الورشات والحرف.

ثانياً : عوامل قيام الحرف؛

يرتبط قيام الحرف بعدة عوامل أهمها وجود مجتمع مستقر، ووجود إمكانيات تساعد على قيامها، كتوفر المواد الأولية اللازمة لها، وتوفر اليد العاملة القادرة على إنتاجها. ومفهوم الحرفة يشمل كل ما يحتاجه الإنسان من أدوات وآلات وغيرها من مستلزمات الحياة، ولا تقتصر الحرف على نوع واحد، أو صنف معين بل شملت كل الأنواع التي احتاجها الإنسان في حياته آنذاك، وتعدتها إلى الأشياء المطلوبة في المجتمعات المجاورة².

وقد ساعد على قيام هذه الحرف توفر المقومات والمواد الخام اللازمة لها كتوفر أنواع مختلفة من المعادن في أجزاء من البلاد، وتوفر أنواع الحجارة القابلة للنحت والصقل، كما كان لوجود المواد الصلصالية دور كبير في ازدهار حرفة الفخار، بالإضافة إلى النباتات والحيوانات التي ساعدت في إقامة عدد من الحرف

1 Dandamaev and Lukonin, op cit, pp175-176

(2) النعيم (نورة عبد الله العلي): الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ١٩٩٢م، ص١٦٥.

التي تعتمد بشكل أساسي في وجودها عليها^١.

وتشير الدلائل إلى بساطة الحرف الأولى، واقتصارها على الضروريات، وعلى رغم ما يقال من إن التوزيع غير العادل للثروة بين السكان في المدن ودوره في تفاوت الطبقات^٢ لم يشكل الإثراء في الدولة الإشكانية إلا نسبة ضئيلة من تعداد السكان العام، وبين الغالبية العظمى من سكان المملكة شكلتها طبقة الفلاحين وبقية أفراد الطبقات الدنيا، وإن هذه الغالبية لم يكن باستطاعتها حيازة أية سلعة خارج نطاق الحاجات الضرورية جداً، التي يغلب الاعتقاد بأنها كانت من صناعة أفرادها اليدوية، مثل حياكة الملابس وصناعة الأواني والنبيد، ففي مثل هذه الظروف اقتصرت المشتريات على بعض الأدوات الزراعية والأواني المعدنية التي لم يتقنوا صناعتها، فكانت الحرف لتأمين الحاجات الضرورية للسكان، وإنها لم تتطور إلا التطور التدريجي المحتوم لمسايرة متطلبات العصر، وزيادة عدد السكان وهكذا فإن استقرار عدد كبير من الأثرياء، وتوفير احتياجاتهم قد أدى إلى اهتمام معين بذله الملوك الإشكانيون لتأمين هذه الاحتياجات عن طريق الاستيراد، وإزاء حاجتهم إلى موارد كثيرة لبناء قوات تماثل قوات منافسيهم كاليونانيين والرومان، لا بد أنهم عملوا على النهوض بالحرف لتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتوفير فائض يمكن تصديره إلى الخارج مما يوفر للدولة مصادر دخل إضافية.

ويعزز هذا الافتراض أن كل المخلفات الأثرية التي يرجع تاريخها إلى العصر الفرثي^٣ لم تنشأ فجأة بل ترجع إلى تاريخ سابق، ولا سيما أنه كان لها نظائر في العصر الأخميني.

(١) النعيم، المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) رضايي، گنجینه تاریخ ایران، جلد ششم، ص ٤١٦.

Rostovtzeff, History of Ancient World, Oxford 1926-1927, p 374.

3 Dandamaev and Lukonin, op,cit, pp130-31.

Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, Cambridge, 1953, p200-5

وفي ضوء هذه العوامل يبدو أن اهتمام الإشكانيين بالحرف لا يقل عن اهتمامهم بالزراعة، فازدهار الزراعة أدى لازدهار الحرف، وخاصة المتصلة بشؤون الزراعة، وعرفت أقاليم المملكة العديد من هذه الحرف الزراعية أهمها الخل والنبيد وغيرها، حيث عُدَّ ذلك طعاماً أساسياً مع الشعير الذي صنع منه الحرفيون خبزاً.

ثالثاً: أهم الحرف:

تنوعت الحرف في الدولة الإشكانية، اعتمد بعضها على المنتجات الزراعية كالحرف الغذائية والنسيج، في حين اعتمد البعض الآخر على المعادن كالأسلحة والأواني المنزلية ومواد الزينة، ناهيك عن استخدام الفخار على نطاق واسع في أرجاء البلاد.

١- الحرف التي تعتمد على المنتجات الزراعية والنباتات

- الحرف الغذائية:

اعتمدت الحرف الغذائية بشكل أساسي على المنتجات الزراعية، وكانت حرفة النبيد من أهم الحرف القديمة المنتشرة في آسية الصغرى^١، فكيف كانت في الدولة الإشكانية؟ وهل كانت من الحرف الهامة؟

اشتهرت الدولة الإشكانية بإنتاجها للنبيد؛ إذ كان شرب النبيد من العادات اليومية التي ترافق الغذاء، ولم يقتصر الأمر على نبيد العنب بل تعداه إلى نبيد التمر^٢.

وبالانتقال إلى مراكز إنتاجه فقد وجد في كل من نسا^٣ وعيلام وكيليشيا، مراكز لإنتاج النبيد^٤، حيث عثر على ما يزيد عن ٢٠٠٠ نص من النصوص الخزفية التي اكتشفت في مخازن النبيد في نسا بين عامي ١٩٥١ - ١٩٥٥م،

(١) العابد، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٢) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٥٦. خداديان، المرجع السابق، ج ٢، ص ١١٧٣.

3 Dandamaev and Lukonin, op,cit, pp 130-31

(٤) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤٢٠-٤٢١. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

وتوالى الاكتشافات لتصل إلى أكثر من ٤٥٠ نصاً بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦١م^١،
ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن نوعية العنب وطريقة استخراج النبيذ تؤثر
بشكل كبير في نوعية النبيذ وجودته^٢.

فقد تناولت النصوص المكتشفة في نسا حساب وجرّد كميات النبيذ والخل
الواردة وحفظها؛ ذلك أن معظم نصوص ما يسمى أرشيف نسا عبارة عن وثائق أولية
لورود النبيذ والخل من البلدات ومزارع الكروم المجاورة، وكذلك من
الأشخاص^٣، وكانت تلك الوثائق في الوقت نفسه بمنزلة بطاقات لخوابي النبيذ
والخل، حيث يشار إلى مقدار النبيذ المسلم من الخابية المعينة أو مقدار ما أضيف
منه إلى تلك الخابية، كما يشار إلى حموضة النبيذ وغير ذلك من معلومات إلى أن
تتفد كمية النبيذ^٤.

وكانت هذه الوثائق تكتب على الأغلب أثناء تسليم أو استلام كمية جديدة
من المادة، ومن خلال تحليل التاريخ المدون على الخوابي استنتج علماء الآثار
السوفييت أن عمليات تنظيف تامة كانت تقام قبل تخزين المواد في أماكنها
المحددة، كالذي جرى عام ٤٠ / ٣٩ ق م؛ حيث نظفت المخازن من الجرار المهشمة
ومن الوثائق الأولية التي لم تعد ضرورية^٥.

وتشير وثائق أرشيف نسا إلى ورود النبيذ من نحو ١٦ قرية، وحملت هذه
الوثائق معلومات بعضها موجز و الآخر تفصيلي، فتضمنت الوثيقة الموجزة تاريخ

(1) بونغارد. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

(2) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

Andrel, op, cit, volume 127, p251. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

(3) بونغارد. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

Andrel, op, cit, volume 127, p251. Bad, Andrei, instituted of world history,
Russian academy of sciences, Russian federation, from the circle inner Asian
art newsletter, Moscow, 1997, pp5-6.

(4) بونغارد. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

Andrel, op, cit, volume 127, p251. Bad, op cit, pp5-6.

(5) بونغارد. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩١. Andrel, op, cit, volume 127, p255.

الورود، واسم الضيعة التي وردت هذا النبيذ، وأحياناً اسم مزرعة الكروم. وانتشرت الوثائق الموجزة على الأكثر في تسعينيات إلى ثمانينات القرن الأول قبل الميلاد، وبعد ذلك تنحت لتحل محلها الوثائق التفصيلية التي تضمنت معلومات أوسع^١. ولم تقتصر الوثائق على نوعية النبيذ بل امتدت لتطال نوعية المزروعات التي يتم تخزينها، فهناك بطاقات للعنب، والسوسم، والزيتون^٢.

ويبدو أن المملكة كانت تشرف على حرفة النبيذ بشكل دقيق وذلك لأن الوثائق تشير في بعض الأحيان إلى اسم الموظفين المسؤولين عن تدوين هذه الوثائق، وعن تسلم المواد، وتخزينها، فهناك ثلاث درجات على الأغلب هي أمر الحصن، أو القرية المحصنة، والعامل، وفي الأغلب لا يذكر اسمه لأن المنطقة المعينة يحكمها عامل واحد، في عدد قليل من الوثائق ترد الإشارات إلى ورود النبيذ من المزارعين، وكانت الإتاوات التي تجبى على أنواع منها على الأراضي الملكية، والثاني إتاوات عينية، والثالث إتاوات شخصية، ويبدو أن تلك الإتاوات كانت أقرب إلى بدلات الإيجار التي يسدها المستأجرون، والأقل احتمالاً هو أنها تبرعات للمعابد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النبيذ كان يصل أيضاً من مزارع المعابد^٣ واشتهرت بابل وعيلام باستخلاص البيرة من الشعير^٤.

واحتلت منتجات الألبان مساحة جيدة في الحرف وخاصة في بابل وفرجيا وفارس، وذلك لكثرة قطعان الماشية التي توفر المادة الأولية الأساسية لهذه الحرف^٥.

(1) بونغار. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٢.

Andrel, op, cit, volume 127, p255. Bad, op cit, pp5-6.

(2) بونغار. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٢ - ٤٩٣. Bad, op cit, pp5-6.

(3) بونغار. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٣ - ٤٩٤.

Andrel, op, cit, volume 127, pp258-260. Bad, op cit, pp5-6.

(4) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤٢٠-٤٢١. Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

(5) بونغار. ليفين: المرجع السابق، ص ٤٩٣ - ٤٩٤.

وتشير وثائق برسوبوليس الاقتصادية إلى أن هذا القطاع شمل أكثر من مائة بلدة واقعة في فارس وعيلام¹.

وخدم هذا القطاع من قبل أكثر من ١٦,٠٠٠ عامل، ومن ضمن ذلك الحجارون، ومن يتقن الأعمال الخشبية والبنائية، ونجارون، وحدادون، ونحاتون بالإضافة إلى الرعاة، وصانعي النبيذ، الخ².

وتشير الدلائل إلى وجود الوثائق الاقتصادية في بابل أكثر من غيرها، وربما يعود ذلك إلى امتلاك معابد بابل لدور الحرف.

ومن الصعب أيضاً تقويم الجزء الخاص بكل مجموعة اجتماعية في الحرف المختلفة كتجفيف الثمار، ومعالجة الحليب، وحفظ اللحوم، وتحويل المنتج الزراعي إلى نبيذ أو زيت، أو طحين، أو استخراج مواد الدباغة، أو تحويله إلى منسوجات، أو إلى صباغ، لكن فسرت هذه النشاطات على أن كل هذه الحرف كانت منتشرة آنذاك، وهذا ما يمكن أن يسمى القطاع الاقتصادي المحلي.

وترافقت هذه الحرف بحرف أخرى مرتبطة بها وهي أماكن التخزين لهذه المنتجات. ولتحقيق ذلك وجدت المخازن³، والمستودعات المختلفة، ومن المرجح أن التخزين المحلي تم تحت إشراف الموظفين الحكوميين، كما وجدت تجهيزات للاستهلاك وتصريف الفائض المحلي من خلال التبادلات الإقليمية والصادرات، وخضعت تلك المنتجات إلى الضرائب⁴.

ويبدو أن الحكومة كانت تفرض الضرائب على الأفراد والمنتجات على حد سواء، وربما سيطرت على بعض تلك النشاطات بالكامل؛ أو تبنت سياسة أكثر

1 Koch, H, Verwaltung und Wirtschaft im persischen Kernland zur Zeit der Achämeniden, Wiesbaden, 1990 pp 217-311.

2 Dandamaev and Lukonin, op,cit, pp 158-70

3 Ettinghausen, R, Parthian and Sasanian Pottery, In Arthur, Upham and Ackerman, Phyllis (ed), ASurvey of Persian art from prehistoric times to the present, 1981, Centennial edition, Maxwell Aley Literary Associates, New York, 1981, vol 2, p649.

4 Andreu, op, cit, volume 127, pp259-260.

اعتدالاً تراوحت بين المراقبة وفرض الرسوم¹. فقد تناولت النصوص المكتشفة في نسا حساب وجرّد كميات النيّذ والخل الواردة وحفظها².

ومن الصعب تحديد ما إذا نظم هؤلاء الصنّاع كصنّاع الأخشاب، والمعادن، والفخار، والجواهر، والحجارة، في هيئات خاصة، في المدن الملكية وخاصة أولئك غير المرتبطين بورشات الملك³.

وبالإضافة إلى كل ذلك، فقد عرفت أشجار الزيتون، ونباتات القطن التي وصفت بأنها الشجرة التي تحمل الصوف⁴. وهذا يرجح استخدام الإسكانيين لهذه المنتجات في صناعة الزيت، الذي كان معروفاً كثيراً لدى اليونانيين، فمن غير المعقول ألا يكون قد انتقل إلى الدولة الإسكانية، ولكن يبدو أن فقدان المعلومات عن هذه الحرفة، تقلل من أهميته.

- النسيج:

نظراً لقلة المعلومات عن مدى انتشار هذه الحرفة في الدولة الإسكانية وتطورها في ذلك العصر فإنه يمكن استخلاص وجودها من أمرين:

الأول: كانت هذه الحرفة نشطة في العصر الأخميني، ولم تخل أية منطقة من مناطق الإمبراطورية الفارسية الأخمينية من مركز أو أكثر لهذه الحرفة. ويذهب البعض⁵ إلى حد القول إن حرفة المنسوجات الصوفية والكتانية في سورية وبابل وفارس لم تكن لتقل عن نظيرتها في مصر، وإن حرفة النسيج كانت من أعظم التقاليد التي حرصت عليها ملحية وبابل بالإضافة إلى شهرتها التقليدية في حرفة الزجاج بأنواعها⁶.

1 Pigulevskaya, op, cit, p 168.

(2) بونغارد. ليفين، المرجع السابق، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

Andrel, op, cit, volume 127, pp256-260. Bad, op cit, pp5-6.

3 Pigulevskaya, op cit, p 160

(4) باقر، المرجع السابق، القسم الثاني، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

Rawlinson, op, cit, Volume III, p10.

5 Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p540

6 Rawlinson, op, cit, Volume III, pp269.

الثاني: استقر في مختلف أقاليم الدولة الإشكانية أعداد كبيرة ممن ألفوا استخدام الملابس الصوفية؛ بل لم يكن في وسعهم الاستغناء عنها، ولا سيما أن الطقس في شمال الدولة الإشكانية كان يحتم على أهلها منذ القدم حياكة الصوف وارتدائه لفترة من السنة، كما أن الطقس في أكثر الأقاليم الشرقية طقس قاري بارد شتاءً، وحار صيفاً، مما يستلزم استخدام ألبسة صوفية تارة وكتانية تارة أخرى. ولم يقتصر ارتداء الصوف على العوام بل كان جزءاً من ثياب الملوك الإشكانيين¹.

وفي ضوء هذا كله، من المرجح أن يكون قد واكب قيام المملكة ازدهار حرفة المنسوجات، وقيام مراكز جديدة لمزاولة هذه الحرفة إلى جانب مراكزها القديمة، خاصة أنه في ذلك الوقت تم ابتكار النول العمودي بدلاً من النول الأفقي؛ الذي مضى على استخدامه مئات السنين، وكان لذلك أهمية كبيرة أوصلت حرفة الغزل والنسيج إلى درجة عالية من الإتقان وحقت باستمرار أرباحاً كبيرة، وظهرت طرق متطورة في عمليات الصباغة².

ويعتقد أن التحفظ والحرص على الأسرار الحرفية كان شديداً، وتم التوصل من خلال التجارب إلى إمكانية تقليد أنسجة الأرجوان الثمينة، الأمر الذي كانت تخشاه المدن المعروفة باحتكارها له منذ حقبة طويلة. وعندما لا توجد قرائن تدل على أن عدد الأهالي الوطنيين قد قل عما كان عليه في عهد الأخمينيين أو على أن هؤلاء الأهالي قد أصبحوا أقل حاجة إلى المنسوجات الكتانية عما كانوا عليه فيما مضى؛ فإنه من المرجح أيضاً أن المراكز القديمة لحرفة هذه المنسوجات قد ظلت تتابع نشاطها القديم، بل لا يستبعد أن تكون هذه الصناعة قد ازدهرت لسد حاجة العالم اليوناني بعد إقباله على المنسوجات الكتانية نتيجة لشهرتها.

(1) بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٩٧، قدياني، المرجع السابق، ص ١٧٢.

Curtiss, op,cit,p61.

2 Rawlinson, op, cit, Volume III, p269.

وكنتيجة حتمية لتفاوت الأذواق والتقاليد على مستوى الاستهلاك المحلي وكذلك على مستوى الأسواق الخارجية شرقاً وغرباً كان من الضروري أن يتوافق طراز المنتجات الاستهلاكية والملابس بصورة خاصة مع الأذواق والتقاليد المختلفة، حيث كانت كمية المنتجات ذات الطراز اليوناني أكثر انتشاراً؛ لأن قدرة اليونان الشرائية كانت تفوق قدرة الشرقيين.

ثم إن الأنسجة المنتجة بصورة رئيسية في بلاد بابل، والتي شملت الحرير، والسجاد، كانت تستخدم بشكل كبير من قبل السيدات الرومانيات، وكانت زخرفتها بالألوان المختلفة، تزيد من ثمنها^١.

وقد ارتدى الملوك الإشكانيون وأعيان الدولة الإشكانية ثياباً حريرية موشاة بالذهب والفضة، في حين ارتدى عامة الناس ثياباً كتانية وصوفية^٢.

- الحرف الخشبية

تقوم الحرف الخشبية على تصنيع الأخشاب، وقد استخدمت هذه الحرفة الأخشاب المحلية، والمستوردة؛ نظراً لكون الخشب من المواد سريعة التحلل، فالبقايا الأثرية محدودة جداً، ولكنها توضح قدرة الحرف في على تشكيل الأنواع المختلفة من المصنوعات الخشبية كالتوابيت مثلاً، وقلة البقايا الخشبية لا تعني عدم وجود الحرفة وازدهارها، فمن المؤكد أن الأبواب والنوافذ للبقايا العمرانية التي تشهد على الحضارة الإشكانية كانت من الخشب، وليس من الحجارة^٣.

٢. الفخار:

استخدم الإنسان الفخار منذ أقدم العصور وصنع منه أدواته المختلفة، وقد تميز كل مجتمع بنوع خاص من هذه الحرفة، واختلفت في النوعية، والزخرفة

1 Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p227.

(2) بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٧. Rawlinson, op, cit, Volume III, p269.

(3) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢١٢.

(4) بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٧. النعيم، المرجع السابق، ص ١٩٦.

والشكل وطريقة الصنع.

والفخار مادة غير قابلة للتحلل كالخشب والمنسوجات والجلد^١، ومن هنا يتبلور دوره في الكشف عن التسلسل التاريخي للحضارات، بالإضافة لذلك يُعدُّ وسيلة لمعرفة علاقة المجتمعات بعضها ببعض، عن طريق انتشاره ومدى تأثيره بأساليب المناطق المجاورة.

ومن الثابت تاريخياً أن الإشكانيين كغيرهم من الأمم استخدموه نظراً لتوفر المواد الأولية اللازمة له، وإن تفاوتت جودته ونوعيته فهذا يعود إلى الخبرة والمعرفة، وكذلك يعكس درجة تحضر المجتمع^٢.

وكان طبيعياً أن يترتب على الاهتمام بحرفة النبيذ، والخل، والألبان، تنشيط حرفة الأواني الفخارية لتعبئتها وحفظها. لذلك فإلى جانب مراكز هذه الحرف القديمة التي لم تكتف بإنتاج ما ألفته من أنواع الأنية الفخارية المختلفة نشأت مراكز جديدة لصناعته^٣.

وتنوعت أشكال وألوان الفخار المستخدم في تلك الفترة فظهر الفخار الأحمر^٤ الذي وجد في التقييات التي أجريت في نسا^٥، وظهرت أنواع أخرى ممزوجة بمواد أخرى غير الطين الفخاري، كالرمل مثلاً وبعض القش، وربما كان ذلك لزيادة متانتها، وبالإضافة إلى ذلك فقد برزت على شكل الأنية الفخارية بعض الحواف الخاصة، وذلك لكي تساعد على سكب ما تحتويه من مواد غذائية^٦.

(1) باقر، المرجع السابق، ج ٧، ص ٤٨٩.

(2) النعيم، المرجع السابق، ص ١٧٨.

3 Andrel, op, cit, volume 127, pp256-260. Ettinghausen, op cit, vol. 2, p. 647-650.

4 Cohen, Lawrence, Ceramics of the Parthian and Sasanian Periods, In Wright, Henry, An Early town on the Deh Luran Plain: excavations at Tepe Farukhabad, Memoirs of the Museum of Anthropology University of Michigan, Ann Arbor, University of Michigan Press, 1981, p224

(5) دياكونوف، ليفشيتس، المرجع السابق، ص ٩.

Andrel, op, cit, volume 127, pp251-260. Ettinghausen, op cit, vol 2, pp 647-648

6 Cohen, op, cit, pp225-227.

وشملت اللقى الفخارية أنواعاً مختلفة من المصنوعات كالعلب، والكؤوس وحاويات العطر، والأختام، والصحون والطاسات وغيرها من الجرار الفخارية الكبيرة التي استخدمت على الأرجح في المخازن. وزينت هذه المنتجات بالرسوم والخطوط المتموجة أو العمودية، والنجوم وغيرها من الأشكال التي ألفها الإنسان الفرثي في بيئته، ناهيك عن الألوان المختلفة التي ازدانت بها هذه الفخاريات كالأزرق والأخضر والبني¹.

ومن بين اللقى الفخارية في الدولة الإسكانية التوابيت التي اتخذت شكل الإنسان، وصنعت بشكل يناسب شكل الدفن، حيث وجد أكثر من وضعية لدفن الموتى، فهناك التوابيت التي اتخذت شكل جرة غطيت بقدر كبير، أو اتخذت شكلاً مستطيلاً حيث عثر على نوعها في سوسة².

وزينت هذه التوابيت بأشكال مختلفة بعضها هندسي كالخطوط المختلفة الأشكال، وبعضها استقاه الإنسان من بيئته كأشجار النخيل، وأرخت معظم هذه التوابيت بين ٤١ ق.م، و٤٣ م³.

ومن الأشكال الأخرى للرسوم التي حملتها هذه التوابيت والتي تعود للفترة ٤٨ ق.م، صور المرأة العارية، والرجل المتكئ على الأريكة، تكسوه سترة ضيقة، وقبعة، ويتقلد سيفاً، وفي بعض الرسوم يمسك بيده كأساً، وهناك رسوم تصور المرأة في وضعية آلهة الخصب، ذات الصدر المبالغ فيه، واليد المتكئة على العامة بالإضافة إلى رسومات مختلفة أخرى⁴.

ومما تجدر الإشارة إليه هو استخدام الألواح الفخارية في الكتابة، فقد كانت الهضبة الإيرانية من المناطق التي استخدمت الطين مادة للكتابة على رغم

1 Ettinghausen, op cit, vol 2, pp 650-651.

Krzysztof, Ciuk, pottery from Sasanian to early Islamic levels at Nippur Iraq 1 st 9 the Century , from Bulletin Canadian Society for Mesopotamian Studies, Volume 35, 2000,p60.

2 Ettinghausen, , op cit, vol 2, pp. 651,654.

3 Ettinghausen, op cit, vol 2, p 652.

4 Ettinghausen, op cit, vol 2, p 653.

انظر رسوماً توضح نوعي التوابيت ورسومها في الملحق.

انتشار الرق الذي كان يصنع في بابل، منذ الأيام الأولى لليونانيين. استخدمت الألواح الطينية بشكل كبير في الدولة الإشكانية وخير دليل على ذلك نصوص أرشيف نسا الذي كتب على تلك الألواح¹.

٣. الحرف التعدينية؛

اعتمدت الحرف التعدينية بالدرجة الأولى على الحديد، فمنه كانت تصنع أدوات العمل الزراعي، والأسلحة، والكثير من الأدوات المنزلية، وقد كان الإشكانيون يستوردون الحديد من بلاد مختلفة.

ويدخل في نطاق الحرف المعدنية الآلات المعدنية التي تستخدم في الأعمال اليومية، كأعمال البناء والنحت والزراعة وغيرها، وعلى سبيل المثال لا الحصر الفؤوس والمحراث، والسروج والحلقات والمقابض، والسلاسل، وغيرها^٢.

ولكن هل كان الإشكانيون يستوردون الحديد؟

لم يستورد الإشكانيون الحديد من الخارج فقط، بل احتكروا بيعه أيضاً بعد الاحتفاظ لأنفسهم بالجانب الأكبر منه، لكي يسدوا قبل كل شيء حاجة جيوشهم وحاجة العمال و الزراع وأصحاب الحرف، وحاجة المنشآت العامة، وأما ما يفيض على ذلك من هذه المادة التي لا بد من أنها كانت في بادئ الأمر عزيزة ونادرة؛ ثم ازدادت على مدى الزمن نتيجة لتوالي الاستيراد؛ فبدءاً من القرن الأول قبل الميلاد أخذ الإشكانيون يطرحون في الأسواق كميات إضافية من الحديد.

وكانت قلة الفولاذ مشكلة كبيرة في الفترة اليونانية وكان أفضل فولاذ استخدم في بلاد اليونان وفي الممتلكات الإشكانية من إنتاج الشرق^٣.

وبالتأكيد فالعالم الفرثي لم يحصل على أفضل الإنتاج من المناجم ولم تكن الإمدادات كافية، كما كانت طريق تسوية إنتاج المعادن الخام صعبة، ولا يوجد جهد لتحسين شروط العمل في المناجم لجعلها أكثر أمناً وصحة للعمال، كما

1 Andrel, op, cit, volume 127, p251.

(2) النعيم، المرجع السابق، ص ١٧٣.

3 Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p219.

كان تطور الوسائل التقنية بطيئاً، والطريقة الوحيدة لزيادة الإنتاج هي استخدام أعداد هائلة من العمال الأرخص، فالعامل الحر قد يستخدم بصعوبة في المناجم القديمة؛ لأنه لا يوجد رجل حر قد ينتحر ببطء في هذه المناجم، فنجد العبيد والمجرمين أو أحياناً عمالاً مأجورين، هكذا كانت الحال في أغلب المناجم الإشكانية¹، وربما كان الناس يرفضون العمل في المناجم لما ينطوي عليه من خطورة على حياتهم.

وكانت المناجم ملكاً للدولة، ولم يكن إنتاج المعادن منظماً، فتجميع الخامات وصهرها كان يتم بطريقة بدائية، حيث يقوم العمال باستخلاص المعادن من الشوائب، وتقديمها مادة خالصة للحرف².

لكن يمكن القول بوجود إنتاج جماعي في الممتلكات الإشكانية، بالنسبة لمواد معينة، وبالدرجة الأولى الأسلحة الدفاعية والهجومية، فالاحتمال الأكبر أن مصانع الأسلحة لمختلف الأدوات التي استخدمها الجنود كالأدوات العسكرية ومعداتها للفرق والخيول قد وجدت في الدولة الإشكانية، وتوزعت في مختلف أنحائها.

وتشير المعلومات المبعثرة للنصوص الأدبية أن الإسكندر خلال حملته قد زود جيشه النظامي بالأسلحة الهجومية والدفاعية، بينما اعتمد المرتزقة على أنفسهم في تأمين حاجاتهم في هذا المجال، ومن المحتمل أن جنود الجيش النظامي الفرثي قد استلموا معداتهم العسكرية من الملك ثم أصبحت ملكهم الخاص وورثوها لأبنائهم.

أما المرتزقة فقد جلبوا معداتهم الخاصة، وفي الحالات الطارئة أو الحرب الصعبة كانت الترسانات الملكية على استعداد لتزويد الجيوش بعتاد اللباس الموحد ذي النوعية الجيدة، وبكمية كافية من الأسلحة، ولا شك أن مخازن الدولة الإشكانية في المدن والممتلكات كانت محضرة جيداً بالأسلحة والأدوات العسكرية³.

1 Ibid, p219.

2 Ibid, p220.

3 Ibid, p221.

ومما أثار قلق الإشكانيين أن مناجم الذهب أخذت تتضرب شيئاً فشيئاً بعدما كدسوا في خزانة الدولة كثيراً منه، فذهب فارس كان قد نضب وأصبح في ذمة الماضي، بعد أن استولى عليه الإسكندر الكبير ووزعه وأنفقه بسخاء كبير.

أما النحاس، فقد كانت جزيرة قبرص تملك منه كميات تؤهلها لأن تجعل منه احتكاراً يخدم مصالحها بصورة ممتازة، فعند ازدياد الطلب عليه كانت الجزيرة ترفع الأسعار، وترفض التفاوض حول ذلك بشكل قاطع، وتوقف التصدير حتى تسلم شركات الاستيراد بالأسعار الجديدة، وتوافق زيادة على الشروط التي كانت تنص على دفع القيمة مباشرة عند استلام النحاس.

وعلى رغم ذلك كانت الدولة الإشكانية مضطرة للاعتماد على نحاس قبرص؛ إذ إنه لم يكن هناك من طريق آخر سوى تلك المناطق الجبلية الوعرة النائية في شرقي آسيا الصغرى. وقد سهل استخدام الحديد كثيراً من هذه الصعوبات في مختلف مجالات الحياة من خلال طرح كميات إضافية منه في الأسواق.

- سك النقود

سكت النقود في الدولة الإشكانية من المعادن على اختلاف أنواعها فوجدت النقود النحاسية والفضية والذهبية¹، فكانت سلسلة إنتاج العملات المعدنية²، والميداليات المصنوعة من الذهب والفضة، التي وجدت في الحفريات الأثرية لمدينة الري وتعود للفترة الإشكانية. ونقش عليها صورة الملك، والآلهة وأحياناً وجدت عليها صور للآلهة اليونانية، التي ربما يعود سببها إلى أن القائمين على سك النقود كانوا من اليونان³.

1 Ibid, p222.

2 Pigulevskaya, op,cit, p168.

(3) بخش، المرجع السابق، ص ٢٥٩. بيرييا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد

Rawlinson, op, cit, Volume III, pp268-271

الساساني، ص ٢١٧.

وسميت وحدة النقود الإشكانية الدراخما وهي كلمة يونانية الأصل، وكان وزن الدراخما لديهم يعادل أكثر من أربعة غرامات، وكان على فئتين أربعة غرامات والغرام الواحد^١.

وبعد أن سك ميثراداتيس الأول النقد ورسم عليه صورته، أمر بسك نقود جديدة كتب على أحد وجهيها باليونانية كلمة محب الهيلينيين، وعلى الوجه الآخر نقش واحد من الآلهة اليونانية، وبعد عهد ميثراداتيس الأول وجدت رسومات وكتابات مختلفة على النقود الإشكانية، كملك الإشكانيين العظيم، أو الكبير. والملك العادل وغير ذلك من ألقاب^٢.

ومن العبارات التي نقشت على النقود العائدة لعهد أرتبانوس الأول العبارة التالية "أرشاك الملك الكبير، محب الهيلينيين"، وفي عهد ميثراداتيس الثاني نجد لقب "الملك العادل، والكبير والمشهور، وصانع الخير"^٣.

كما ظهر التاج على النقود كالنقود العائدة لميثراداتيس الثاني، وظهر الكثير من النقود في الحفريات الأثرية لبلاد ما بين النهرين والري، وهي ذات نقوش مختلفة^٤.

(١) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ١٥١. بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٧. بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ص ٢١٧. بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٧.

(٢) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ١٧٠. بخش، المرجع السابق، ص ٢٦١. بيرنيا، إيران باستان، جلد سوم، ص ٢٦٦. بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ص ٢١٧.

(٣) اللهی (حبيب الله آيت): تاريخ هنر، مركز مطالعات فرهنگي. بين المللي، سازمان فرهنگ وارتباطات اسلامي، انتشارات بين المللي الهدي، تهران، چاپ اول، ١٣٨٠، ص ١٢٠. بخش، المرجع السابق، ص ٢٦١. بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ص ٢١٧.

(٤) بخش، المرجع السابق، ص ٢٦١.

وقد وجدت دور لسك النقود في مختلف المدن الإشكانية كأقباطان، وطيسفون وغيرها^١. ويدل انتشار مراكز سك النقود^٢ على استقلالية الولايات اقتصادياً كما يدل على اعتماد النقد كأساس التعامل الاقتصادي. وتعد النقود من أفضل الوسائل لمعرفة تسلسل الملوك في الدولة الإشكانية، ومعرفة ألقابهم، وذلك لأنها صنعت من مواد مقاومة للتلف.

- الأسلحة:

مما لا شك فيه أن حرف إنتاج الأسلحة وخاصة الثقيلة منها، وما تتطلبه من حرف تعدينية تستلزم بذل الكثير من المال والجهد من أجل تحقيق تقدم ملموس في تطورها، تجعل من المستبعد قيام حرفة حرة لصناعة الأسلحة الثقيلة، لكن يمكن ترجيح فكرة قيام الدولة أو الملك بإنشاء ورشات لإنتاج هذا النوع من المنتجات.

استخدم الإيرانيون خلال عصورهم التاريخية المختلفة، أنواعاً مختلفة من الأسلحة والدروع في المعارك والحروب، أو في الحالات العادية. وقد أثبتت التنقيبات الأثرية في المناطق الشمالية حيث أقام الإشكانيون؛ وكذلك التنقيبات في المنطقة الجنوبية الغربية وجود عدد كبير وتشكيلة واسعة من الأسلحة البرونزية كالخناجر والسيوف، وبعض قطع الدروع^٣.

وتشير الدلائل إلى استخدام هذه الأسلحة منذ العصر الأخميني إذ عثر على سيوف وخناجر تعود لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، فهناك خنجر مقوس، وخنجر ذو حدين وسكين ذو حد واحد، وأيضاً الرماح وغيرها من الأسلحة التي استخدمت آنذاك، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأسلحة كانت مزينة بالرسوم، وبعضها موشى بالذهب أو الفضة، وحمل بعضها زينة كالكرة، وأيضاً

(١) بخش، المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢) انظر خارطة مراكز سك النقود في الدولة الإشكانية، ص ١٦٢.

(٣) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

عشر على ما يسمى الصولجان؛ على هيئة العصا أو الكرة، كما برزت صولجانان إنسانية أو حيوانية الرأس. بالإضافة إلى ذلك عشر على الكثير من الفؤوس والدروع المختلفة التي استخدمت لحماية الإنسان وصنعت من الفولاذ^١.

وقد قسمت الدروع إلى عدة أقسام منها لليد، والذراع، والخوذة، والساق، وحامي الركبة، وحامي الساق، وغيرها من أجزاء الدروع التي وجدت في تلك الفترة، ناهيك عن الأقواس وخاصة المركبة التي شملت هي الأخرى عدة أجزاء كالخشب والوتر. ولم تقتصر الدروع على الفرسان بل امتدت لتطال الخيول أيضاً حيث صنعت دروع خاصة لهما لتقيها السهام والرمح^٢.

وزينت هذه الأسلحة بالشعارات والرسوم، فهناك شعار للأسد وللشمس وللثور، ومن المرجح أن كل شعار من هذه الشعارات قد حمل معنى معيناً^٣. ولم تصنع كل تلك الأسلحة من الحديد بل وجدت أسلحة من المعادن الثمينة، كالخناجر الفضية والذهبية^٤.

- الأواني المنزلية

شكلت الأواني المعدنية نسبة من الأواني التي استخدمها الإشكانيون في حياتهم اليومية، كالقدور والأطباق، والسكاكين، ومقابض الأواني والأقداح، وكانت هذه الأواني بمعظمها تصنع من البرونز والنحاس والحديد^٥. كما ساد استخدام الأواني الفخارية التي كانت على درجات متفاوتة، منها المصنوع بمهارة عالية والمزين برسوم جميلة، ومنها البسيط، كما تنوعت أنواعها فكانت على شكل قدور وأطباق، وجرار^٦.

(١) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. انظر الفصل الثاني، ص ٦٩.

(٣) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٤) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٥) النعيم، المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٦) اعتماد السلطنة، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

وبالإضافة إلى ذلك وجدت الأواني التي تصنع من الذهب والفضة، وكانت للطبقة الغنية من المجتمع، وعلى رغم عدم العثور على بعض المنتجات منها لكن هذا ليس دليلاً على عدم وجودها^١.

٤- أدوات الزينة:

شغلت أدوات الزينة حيزاً جيداً في الدولة الإشكانية، وإن كانت عملية التزيين مقتصرة في معظم الحضارات على النساء، فقد امتدت لتشمل الرجال والنساء معاً. فوجدت الزينة للنساء وخاصة تلك التي تعني بجمال العنق والأذنين والرأس فطوقت النساء أعناقهن بالعقود الجميلة وزينت آذانهن بالأقراط^٢.

ولم تقتصر الزينة على البشر بل امتدت لتطال البيوت التي زينت بتحف فنية تستحق كل التقدير، فقد عثر على بعض الكؤوس بأحجام مختلفة، وتتمتع بتقنية فائقة الدقة في الصياغة؛ الأمر الذي يدل على تقنية كبيرة وذوق رفيع.

٥ - حرفة الزجاج:

الزجاج من الحرف المنتشرة في المراكز الحضارية، وقد أكدت الحفريات وجود القطع الزجاجية، في المراكز التي أجريت فيها التقييات، وقد شكل الزجاج مادة جيدة وجميلة للحلي، فأوجدوا منها الأساور والأقراط، والخواتم، والخرز وغيرها من مواد الزينة التي كانت تصنع خصيصاً للنساء^٣.

وكان لبابل شهرة خاصة في حرفة الزجاج منذ أمد بعيد وانتعشت أكثر في عصر الإشكانيين، وظهرت في هذا العصر مراكز جديدة لهذه الحرفة، إلى جانب مراكزها القديمة، فصُنعت أنواع جديدة من الآنية الزجاجية، ونستدل على

(١) النعيم، المرجع السابق، ص ١٧٢.

2 Marcellinus, op, cit, 23.6. Bennett, op, cit, p185.

(٣) سايكس، المرجع السابق، ص ٤٩٧ - ٤٩٨. Bennett, op cit, p185. Curtiss, op,cit, p61.

Rawlinson, op, cit, Volume III, pp259-267.

(٤) النعيم، المرجع السابق، ص ١٩٦.

ذلك بما وجد من بقايا أثرية في طيسفون، وذلك خلال التنقيبات التي كشفت أدوات المطبخ التي استخدمت آنذاك¹.

وكان أحد هذه الأنواع يمتاز بأن كؤوسه وأطباقه موشاة بالفضة²، ونعلم الشيء القليل عن نشاط فناني النقش على الزجاج، هذا الفن الذي يعد استمراراً لتقاليد الفنانين الإيرانيين المشهورين في العالم القديم³، وكان لهم أثر في تطور فن النقش.

ومن المحتمل أن مركز عمل هؤلاء الفنانين كان سورية وأرمينية أو باكتريا، وليس هناك ما يدعو للتفكير أن ذلك النشاط توقف أيام الإسكانيين، وتنسب للحرف الإسكانية منتجات معينة من فن النقش على الزجاج، فقد وجدت بعض الكؤوس الفضية والذهبية في سيبيريا، مستوردة من إيران⁴.

وقد زخرت معظم المصنوعات الزجاجية بزخارف تتم على ذوق رفيع، ومعرفة دقيقة بهذه الحرفة⁵.

وهكذا حققت هذه الحرفة خطوات كبيرة من التقدم، وزودت العالم بالسلع الممتازة وبشكل عام يمكن القول، إن المؤسسات الحرفية قد وصلت إلى درجة من الاتساع والتطور لم تعهدها من قبل.

1 Ettinghausen, op cit, vol 2, p. 665.

2 Ettinghausen, op cit, vol 2, p. 649.

3 Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World, p 539-540.

4 Ibid, p 539-540.

(5) باقر، المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٨٩. النعيم، المرجع السابق، ص ١٩٦.